{ العلاقات العراقية ـ السورية في ضوء استراتيجية التدخل الدولي. }

أ.م.د خلود محمد خميس(*)
khloood.mahmad69@gmail.com

الملخص

لقد مرت العلاقات بحقب من الاستقرار ومن الجفاء والتوتر بسبب اختلاف وجهات نظر ومصالح كلا النظاميين السياسين الحاكمين في كلا البلدين خلال فترة ما قبل عام ٢٠٠٣ وما بعدها،فوقعت تلك العلاقات تحت تاثير العديد من المؤثرات المحلية والاقليمية والدولية ،فكانت المؤثرات الدولية كبيرة بثقلها على العلاقات العراقية ـ السورية لاسيما وان تلك المؤثرات كانت تحركها استراتيجيات دولية ولاسيما من قبل القوى الدولية الكبرى الولايات المتحدة الامريكية وروسيا الاتحادية (الاتحاد السوفيتي السابق)وتلك القوى استطاعت التدخل من خلال توظيف استراتيجياتها وبشكل محكم لاجل تحقيق مصالحها في عموم منطقة الشرق الاوسط بعد احتواء العراق وسوريا بعد ان كانت تلك الدولتين يصنفان ضمن دول محور الشر، فكلا القوتين استطاعتا توظيف التدخل الانساني لاجل تحقيق اهدافا سياسية واقتصادية وعسكرية وامنية لحماية مصالحها القومية وبحسب ما اشارت اليه استراتيجياتها الكونية والتي صيغت ما بعد انتهاء الحرب الباردة وما بعد احداث ايلول ٢٠٠١.

وهذا يعني ان التدخل الدولي الإنساني كان ولا يزال منذ بروزه على مسرح السياسة الدولية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة يثير جدلاً سياسياً وقانونياً على مستوى الوحدات الفاعلة فيها،فقد بقيت الدول القومية ما بين مؤيد ومعارض له، والسبب يعود في ذلك الى ان هذا

(*) مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية /جامعة بغداد.

التدخل تكون وسيلته العسكرية واستخدام القوة هي الاساس في حل الازمات التي يفرضها هذا التدخل والذي ياخذ الصفة الانسانية .

المقدمة

اكتسبت العلاقات العراقية . السورية اهمية خاصة بسبب الثقل السياسي والاقتصادي لهاتين الدولتين في منطقة الشرق الاوسط ،فضلا عن التاثير المتبادل لكل منهما في الواقع السياسي للاخرى ،اذ ان كل تطور داخلي او خارجي في سياسة احداهما لابد ان يؤثر على الدولة الاخرى بشكل مباشر ام غير مباشر وبشكل يفوق ما يحصل لدى بلدان العالم الاخرى ،ذلك للقرب التاريخي والجغرافي والاجتماعي بين البلدين،فقد مرت العلاقات بحقب من الاستقرار ومن الجفاء والتوتر بسبب اختلاف وجهات نظر ومصالح كلا النظاميين السياسين الحاكمين في كلا البلدين خلال فترة ما قبل عام ٢٠٠٣ وما بعدها،فوقعت تلك العلاقات تحت تاثير العديد من المؤثرات المحلية والاقليمية والدولية ،فكانت المؤثرات الدولية كبيرة بثقلها على العلاقات العراقية السورية لاسيما وان تلك المؤثرات كانت تحركها استراتيجيات دولية ولاسيما من قبل القوى الدولية الكبرى الولايات المتحدة الامريكية وروسيا الاتحادية (الاتحاد السوفيتي السابق)وتلك القوى استطاعت التدخل من خلال توظيف استراتيجياتها وبشكل محكم لاجل تحقيق مصالحها في عموم منطقة الشرق الاوسط بعد احتواء العراق وسوريا فكلا القوتين استطاعتا توظيف التدخل الانساني لاجل تحقيق اهدافا سياسية واقتصادية وعسكرية وامنية لحماية مصالحها القومية وبحسب ما اشارت اليه استراتيجياتها الكونية والتي صيغت ما بعد انتهاء الحرب الباردة وما بعد احداث ايلول ٢٠٠١.

يقوم البحث على الفرضية التالية :(ان القوى الدولية الكبرى لاسيما الولايات المتحدة الامريكية وروسيا الاتحادية وضعت استرتيجياتها التدخلية لاجل تنفيذ اهداف معينة في مناطق تشكل اهمية كبيرة لمصالحها الحيوية الا ان تلك الاستراتيجيات التدخلية شكلت وسائل تهديد لاستقرار تلك المناطق وتفكيكها واعادة هيكلتها لاسيما ما حدث في منطقة الشرق الاوسط في العراق وسوريا)

الاشكالية انطلقت من عدة تساؤلات اهمها:

١. هل اثرت الظروف التي مر بها البلدين على طبيعة سيرتلك العلاقات ؟

٢. ما هي الاستراتيجيات التي وضعت من قبل القوى الدولية الولايات المتحدة وروسيا الاتحادية على التدخل في المنطقة العربية؟

٣. ما هو مستقبل العلاقات العراقية ـ السورية في ضوء استراتيجيات التدخل الدولية؟

وقد قسم البحث الى عدة محاور اهمها:

المبحث الاول :مدخل تمهيدي

اولا: مصطلحات مفاهيمية (الاستراتيجية والتدخل الدولي)

ثانيا :نظرة للعلاقات العراقية ـ السورية قبل عام ٢٠٠٣

المبحث الثاني :طبيعة العلاقات العراقية ـ السورية للحقبة ٢٠٠٣– ٢٠١١

المبحث الثالث :استراتيجية التدخل الدولي وتاثيرها على العلاقات العراقية ـ السورية بعد عام ٢٠١١ (الامريكية ـ الروسية)انموذجا.

المحور الاول:استراتيجية التدخل الدولي (الامريكية ـ الروسية) نظرة عامة

المحور الثاني: تاثيرالتدخل الامريكي ـ الروسي على العلاقات العراقية ـ السورية بعد عام ٢٠١١

المحور الثالث: تاثير التدخل الدولي في مستقبل العلاقات العراقية ـ السورية

المبحث الاول :مدخل تمهيدي

من خلال هذا المدخل سنحاول دراسة الموضوع في جانبين :الاول :جانب مفاهيمي نظري للمصطلحات الواردة في البحث كالاستراتيجية والتدخل والدولي،اما الجانب الثاني سوف نلقي نظرة ولو سريعة على العلاقات العراقية ـ السورية قبل عام ٢٠٠٣ اي قبل التدخل الدولي في العراق ومن ثم في سوريا لاجل ادراك العلاقة التي ربطت بين اجزاء الموضوع المطروح للمعالجة .

اولا: مصطلحات مفاهيمية (الاستراتيجية والتدخل الدولي)

ما دمنا سنعالج مسألة جدلية العلاقة بين العلاقات الدولية وبين استراتيجيات قوى كبرى ومحاولة تنفيذها على ارض الواقع من خلال اتخاذ وسيلة التدخل الدولي كآلية لتنفيذ هذه الاستراتيجية فكان لزاما علينا الذهاب الى الجانب المفاهيمي لتلك المصطلحات من اجل الوقوف على الجانب الصحيح لمعالجة مثل هذه المواضيع ومن خلال التفصيل التالي :

١. ماذا يعني مفهوم الاستراتيجية ؟انها تعني بان لكل دولة استراتيجيتها الخاصة النابعة عن ايدلوجيتها وسياستها المستندة الى قدرتها المادية والمعنوية والمتعلقة بطموحاتها الوطنية والقومية والتي تتطور او تتغير تبعا للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية حسب الاوضاع الدولية والاقليمية المحيطة بتلك الدولة فقد جاء تعريف الاستراتيجية في قاموس اكسفورد بانها فن القائد وكذلك فن العرض وتوجيه القوات العسكرية الكبيرة والعمليات للحملة .اما قاموس العلوم السياسية فعرفت على اساس انها خطة عمل لدحر عدو او تحقيق هدف ما وتشير الاستراتيجية الى انها خطة شاملة الى امد طويل تتألف من سلسلة من الحركات من اجل هدف عام.(١)

٢. ماذا يعني التدخل؟لقد عد مفهوم التدخل مفهوما غامضا فضلا عن انه مفهوم وصفي ومعياري في الوقت نفسه ،حيث تتعدد اشكاله وادواته ،فقد يكون سياسيا ،اقتصاديا ،عسكريا،اعلاميا،ثقافيا ،وقد يكون فرديا او جماعيا صريحا مباشرا او خفيا مقنعا ،حيث لا يوجد اتفاقا عاما على انه تدخل عادي او انساني،اذن صيغت العديد من التعريفات من قبل عدد كبير من الباحثين والكتاب الغرب والعرب ومنهم:

. (جوزيف ناي)،والذي عرفه بانه يشير الى ممارسات خارجية تؤثر في الشؤون الداخلية لدولة اخرى ذات سيادة او بمعناه الضيق فيشير الى التدخل بالقوة العسكرية في الشؤون الداخلية لدولة اخرى ،واستنادا الى (ناي) فان المفهوم يندرج من حيث اشكال ممارسة النفوذ من اقل صور القهر الى اعلاه،حيث يشتمل التعريف الواسع للتدخل على جميع اشكال التدخل من الاجبار المنخفض الى درجات الاجبار العالي وتمثل درجة القسوة في هذا التدخل اهمية خاصة فعلى اساسها تتوقف درجة اختيار الدولة المتاحة ومن ثم درجة التقليص الخارجي للحكم

المحلي،حيث يبدأ (خطب، اذاعات، مساعدات اقتصادية، مستشارون عسكريون، دعم معارضة ،حصار،اعمال عسكرية محدودة،غزو عسكري).(٢) اما اسماعيل صبري مقلد ،فرى بان التدخل عملية توازنية للحفاظ على توازن القوى الضروري لاستقرار النظام الدولي والتي تتخذ شكلين :

١. التدخل الدفاعي ،ويهدف الى منع احداث تغيير في توازن القوى الموجودة لانه سيضر بالمصالح للدولة المتدخلة .

٢. التدخل الهجومي،والذي يقوم لاحداث تغيير في توازن القوى الموجودة واحداث تغيير في نظام الحكم للدولة المستهدفة بطريقة تضمن اكبر قدر ممكن من النتائج الايجابية للدولة المتدخلة.(٣)

والسؤال الذي يطرح نفسه اي نوع من التدخل طبقت الولايات المتحدة الامريكية على العراق واي نوع طبقت روسيا الاتحادية على سوريا ؟وهنا لابد لنا من توضيح انواع التدخل الدولي لكي تكون الصورة واضحة لتساؤلنا الذي طرحناه انفا،فهنالك نوعين وهما :

الاول/مبدأ التدخل الانساني فاجندة بناء السلام التي طرحها الامين العام السابق للامم المتحدة بطرس غالي عام ١٩٩٢ كانت القاعدة الاساسية لمبدأ التدخل الانساني والذي وسع من صلاحيات الامم المتحدة في هذا الميدان من خلال دعوة الدول الاعضاء لتلعب دور اكبروتخصيص وحدات عسكرية جاهزة للتدخل تحت علم الامم المتحدة وتم اقرارها من خلال قمة اجتماع مجلس الامن في ٣١ كانون الثاني ١٩٩٢ حيث تم اعتبار الديمقراطية وحقوق الانسان الاساس الايدلوجي الوحيد في العلاقات الدولية وتطبيق مبدأ الدبلومامسية الوقائية للتنبوء بالازمات ومحاولة احتوائها وحلها قبل تفاقمها الى حروب طاحنة .(٤)

الثاني/التدخل العسكري الانساني :فيعني التدخل الذي يستخدم القوة باسم الانسانية لوقف ما درجت عليه دولة من اضطهاد لرعاياها وارتكابها لاعمال وحشية وقاسية ضدهم . الامر الذي يسوغ التدخل قانونيا لوقف تلك الاعمال ،كما ان هذا التدخل العسكري الانساني

مضبوط ايضا بالانتهاكات الخطيرة لحقوق الانسان كالمذابح والابادة الجماعية وليس معنيا بتدعيم كل حقوق الانسان.(٥)كما تفعل روسيا بسوريا اليوم.

٣. ماذا تعني سياسة الاحتواء وهي السياسة التي اتخذتها الولايات المتحدة الامريكية تجاه كلا من العراق وسوريا فاتخذتها لاجل احتواء وتحجيم القوى الاقليمية المناهضة للاستراتيجية والمصالح الامريكية فطبقت على العراق عام ١٩٩٠ وبعد حرب عام ١٩٩١ ظهرت سياسة الاحتواء المزدوج ضد العراق اي عملت على التحجيم العسكري والاقتصادي والسياسي بعد احتلال العراق للكويت . ولقد شارك في بلورة أسس سياسة الاحتواء المشترك (انطوني ليك . مستشار الامن القومي الامريكي السابق للرئيس الامريكي السابق بيل كلنتون ومارتن انديك عضو مجلس الامن القومي بقوله (نسعى من خلال العمل على تحقيق عزلتهما ومن خلال ممارسة الضغوط في احيان اخرى وتشجيع بقية المجتمع الدولي على الانضمام الى جانب الولايات المتحدة الامريكية في مسعى متفق عليه).(٦)

ثانيا :نظرة للعلاقات العراقية . السورية قبل عام ٢٠٠٣

تكتسب العلاقات العراقية . السورية اهمية خاصة بسبب الثقل السياسي والاقتصادي لهاتين الدولتين في منطقة الشرق الاوسط ،فضلا عن التاثير المتبادل لكل منهما في الواقع السياسي للاخرى ،اذ ان كل تطور داخلي او خارجي في سياسة احداهما لابد ان يؤثر على الدولة الاخرى بشكل مباشر ام غير مباشر وبشكل يفوق ما يحصل لدى بلدان العالم الاخرى ،ذلك للقرب التاريخي والجغرافي والاجتماعي بين البلدين، فقد دخل البلدان الى جانب مصر في وحدة عام ١٩٦٣ الا انها فشلت بسبب عدم موافقة مصر على التوقيع على ميثاق الوحدة فكان الصراع العقائدي كعنصر اساسي لعدم استقرار العلاقات بين البلدين،حتى جاءت حرب اكتوبر١٩٧٣ ليكون العراق اول المشاركين على الجبهة السورية ،وعندما عقدت مصر اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٨فكانت نتائجها ايجابية على طرفي العلاقة حيث بدأ التقارب بين العراق وسوريا فوقعا اتفاقية العمل المشترك فتم توحيد بعض المؤسسات كخطوة اولى للوحدة الكاملة بين القطرين ،لكن هذا التحسن سرعان ما تراجع ،بسبب اتهام النظام

السياسي السوري بالعمل على الايقاع بالنظام السياسي العراقي والتخطيط لمحاولة انقلابية ضده.(٧) وهذا يعني ان العلاقات العراقية ـ السورية اتسمت بنوع من الجفاء احيانا والاستقرار النسبي احيانا اخرى بسبب موقف زعيمي النظامين السابقين من الكثير من المواقف الاقليمية والدولية فضلا عن علاقاتهما مع القوى الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي السابق،فقد بدت بغداد عاصمة الرفض العربي مع ادانتها لوقف اطلاق النار مع الكيان الصهيوني وقراري مجلس الامن الدولي المرقمين ٢٤٢ و٣٣٨ ،كما تصاعد التوتر بين الطرفين عام ١٩٧٦ بسبب الحرب الاهلية اللبنانية والثورة الاسلامية الايرانية ، واستمرت تلك الخلافات حتى اندلاع الحرب العراقية ـ الايرانية عام ١٩٨٠ ـ ١٩٨٨ ووقوف النظام السياسي في سوريا الى جانب ايران مما عمق الفجوة بين البلدين وادى بنهاية المطاف الى قطع العلاقات بين الطرفين.(٨) اذ اختارت سوريا مساندة ايران فاغلقت الحدود بين البلدين وانقطعت العلاقات الدبلوماسية حتى وصلت عام ١٩٨٢ الى حد العداء واتهام العراق لسوريا بتهريب الاسلحة الى العراق عن طريق سفارتها في بغداد ،وبالمقابل اتهام دمشق للنظام العراقي بدعم جماعة الاخوان المسلمين المحظورة في سوريا ، الا انه وبسبب المصلحة التي تربط بين الطرفين بدأ نوعا من التقارب جسدته زيارات للقيادات العراقية الى سوريا والتي ادت الى توقيع اتفاقات للتعاون الاقتصادي منها اتفاق لاعادة ضخ النفط عبر الاراضي السورية والذي توقف عام ١٩٨٢ ، وهذا التعاون كان لابد منه بسبب طول الحدود بين العراق وسوريا والتي تبلغ نحو ٦٥٠ كيلوا مترا ما يجعل تأمينها من مصلحة البلدين واقامة التعاون يعد عاملا مساعدا على تشجيع التبادل التجاري بمختلف صوره واشكاله او حتى من خلال تنشيط تجارة الترانزيت لاسيما وان العراق بحاجة الى الموانئ والمنافذ والاراضي السورية لايصال استيراداته وتصدير منتجاته ،لكن التوتر عاد من جديد وادى الى عدم استقرار علاقات الطرفين لاسيما بعد مشاركة الحكومة السورية في القوات الدولية التي حررت الكويت بعد احتلالها عام ١٩٩١.

حتى جاء مطلع شهر حزيران ١٩٩٧ لتبدء بوادر تحسن العلاقات بين الطرفين تلوح في الافق، حيث تم اعادة فتح مركز التنف الحدودي لرجال الاعمال من البلدين وفي ٨ حزيران من الشهر نفسه كان توقيع اول الاتفاقيات التجارية بين البلدين في بغداد وفي ١٣ حزيران كانت اول زيارة منذ عام ١٩٨٢ لوفد اقتصادي عراقي لسورية وكانت تلك السنة حافلة بنوع من النشاطات لكلا الطرفين ،ففي ١ /اب سمحت الامم المتحدة للعراق باستيراد بضائع عبر الحدود مع سورية .اما في ٢٠ اب ١٩٩٨ كان توقيع مشروع لاعادة تاهيل انبوب النفط العراقي السوري المتوقف منذ ١٦ عاما وفي ١٣ ايلول تم اعادة فتح المركز التجاري السوري في بغداد بعد توقف عن العمل دام ١٨ عاما ، وهكذا استمر التقارب لاسيما بعد عام ٢٠٠٠ حيث وفاة الرئيس السابق حافظ الاسد والذي كان ذو موقف متزمت في سياسته اثناء التعامل مع العراق فقد استلم من بعده ابنه (بشار الاسد) الحكم والذي اتسم بسياسة اكثر اعتدالا في التعامل مع الحكومة العراقية قبل عام ٢٠٠٣ ،ففي ٢٢ شباط ٢٠٠٠ طالب (وزير الري العراقي محمود دياب الاحمد) السابق بعقد اتفاق ثلاثي تركي سوري عراقي لتقاسم عادل ومنطقي للثروات المائية المشتركة بين الدول الثلاثة، اما في ١١/اب من العام نفسه تم اعادة فتح خط السكة الحديد بين الموصل وحلب بعد ان توقفت منذ عام ١٩٨١ ،فالعلاقات عادت من جديد للتحسن ،كما زار رئيس الوزراء السوري حينها (مصطفى ميرو) العراق في اب ٢٠٠١ في اول زيارة على هذا المستوى بعد ٢٠ عام من القطيعة فركزت الزيارة على التعاون الاقتصادي ، اما في ٣١/ كانون الثاني ٢٠٠١ تم الاتفاق على انشاء منطقة للتبادل التجاري الحر بين البلدين،حتى جاء ٨ تشرين الاول /٢٠٠١ ليشهد انعقاد مؤتمرا عربيا في دمشق لدعم العراق في وجه التهديدات الامريكية بحضور وزير الخارجية العراقي الاسبق طارق عزيز ونحو٨٠٠ شخص وفي ٢٠ تشرين الثاني استقبل الرئيس السوري بشار الاسد في دمشق الزعيم الكردي مسعود البرزاني وبحث معه اهمية الحفاظ على وحدة العراق(٩)

لكن النظام السياسي في سوريا لم يكن ليخسر الجانب الدولي من اجل علاقاته بالعراق فاراد ان يوازن في علاقته بين الطرفين الاقليمي والدولي والمتمثل بشكل واضح في الولايات المتحدة الامريكية وروسيا الاتحادية ،ففي ٨ تشرين الثاني ٢٠٠٢ صوتت سوريا بالموافقة على قرار مجلس الامن الدولي ١٤٤١ الخاص بالعراق والذي اقترحته الولايات المتحدة وبريطانيا والذي نص على ان (العراق خرق شروط وقف اطلاق االنار التي وضعت بعد حرب الخليج عام ١٩٩١ مطالبا العراق بالكشف عما لديه من اسلحة الدمار الشامل ومهددا بعقوبات دون تحديد طبيعتها وقد اتخذ المجلس القرار بالاجماع وكانت سوريا تحتل حينها مقعدا مؤقتا فيه وقد تم غزو العراق بعد خمسة اشهر من صدور القرار دون الرجوع ثانية لمجلس الامن.(١٠) وعلى الرغم من موقف النظام السياسي السوري في المنظمة الدولية من العراق الا ان نتائج العلاقات السياسية والاقتصادية بين الجانبين العراقي ـ السوري كانت تتسم بالايجاب وكانت هنالك اشارات واضحة للدلالة على ذلك،حيث تم فتح انبوب النفط العراقي ـ السوري واستمرارتبادل الزيارات الرسمية بين الطرفين حتى اعلن النظام السياسي السوري معارضته لمواصلة فرض عقوبات دولية على العراق ومعارضته للحرب التي شنتها قوات التحالف الدولي ضد العراق عام ٢٠٠٣.

المبحث الثاني :طبيعة العلاقات العراقية ـ السورية للحقبة ٢٠٠٣. ٢٠١١

بعد ان اتسمت العلاقات العراقية ـ السورية بقدمها واتسامها بالجفاء حينا والتوتر احيانا كثيرة مع استقرار نسبي ،،تساؤلات عديدة تطرح نفسها اهمها،كيف اصبح شكل العلاقات بعد تغير النظام السياسي في العراق اثر التدخل الدولي العسكري وليس الانساني ؟ما درجة استفادة النظام السياسي السوري من التدخل العسكري الامريكي والذي قلب موازين المعادلة في العراق والمنطقة ؟كيف سارت العلاقات العراقية مع اقرب جارة له سوريا والتي اهلها موقعها لتحتل اهميتين الاولى بالنسبة لها ولدول الجوار ولاسيما العراق والثانية بالنسبة للقوى الكبرى ولاسيما الولايات المتحدة الامريكية وروسيا واللتان وضعتا استراتيجيتهما المستقبلية بشان هذين البلدين؟وهذا يعني ان طرفي المعادلة العراق وسوريا شكل احدهما

للاخر عمقا استراتيجيا على الرغم من مظاهر الجفاء والعداء التي حكمت علاقات منطقة الشرق الاوسط ،فحين وقع الاحتلال توجس النظام السياسي السوري من هذا الاختراق للسيادة العراقية ، نظرا لموقف الولايات المتحدة الامريكية من النظام السياسي في سوريا والذي عد بنظر الولايات المتحدة من اكبر الداعمين للارهاب في المنطقة ،كما انها تعد سوريا من الناحية الجغرافية قلب الشرق الاوسط وكانت على الدوام مركزا لصراع الدول الكبرى كما انها البوتقة التي تدور فيها اهم المتغيرات الاقليمية من حيث ملامستها للحدود التركية ومحاذاتها لاسرائيل وقربها من العراق فضلاً عن حاجة منظومة التعاون الخليجي اليها لما تشكله من مدى حيوي وضروري في مواجهتها لايران.(١١) فما سعت له الولايات المتحدة وبحسب وجهة النظر السورية هو سحب الاوراق السياسية الاقليمية والتي كانت سوريا تستخدمها ومنها الملف الفلسطيني والملف اللبناني والتحالف السوري الايراني وكذلك التحالف السوري ـ السعودي ـ المصري، وتلك الرؤية الامريكية تاتي من فرضية اساسية وهي ان سوريا وبسبب موقعها الجغرافي وموقفها السياسي كانت قد تبوات طوال العقود الثلاثة الماضية موقعا اقليميا متميزا لا يتوافق مع ما تتمتع به من قدرات عسكرية واقتصادية .(١٢) حتى اتهمت سوريا وبشكل واضح من قبل المسؤولين الامريكان ،ففي ٢٩/تموز ٢٠٠٣ إذ اشار الجنرال (ريتشارد مايرز) رئيس هئية اركان الجيش الامريكي (بان غالبية المقاتلين الاجانب يتسللون الى العراق انطلاقا من سوريا وان هنالك على الاقل ٨٠ مقاتلا اتبعوا لعدة اشهر تدريبا في معسكرسوري ـ مضيفا الى ان الحكومة السورية قد دعمت التمرد في العراق)اما الجنرال (ابي زيد)القائد العام للقوات الامريكية في الخليج العربي في اب ٢٠٠٣ فقال (ان الخطر الرئيسي في العراق يكمن في وصول مقاتلين اجانب عبر سوريا)وبعد شهر تقريبا اكد (بول بريمر)(بان ٢٤٨ مقاتلا اجنبيا منهم ١٢٣سوري قد تم اعتقالهم موضحا ان المقاتلين الاجانب في العراق يتسللون بشكل رئيسي عبر سوريا(١٣) ونتيجة لتلك الرؤى سعى النظام السياسي السوري بعد عام ٢٠٠٣ الى احتواء ازمة العلاقات مع العراق من خلال طريقين :

الاول:التعامل بحذر مع الولايات المتحدة الامريكية بمنهج واقعي والتخفيف من وطاة التهديدات التي صبت عليها من قبل الولايات المتحدة الامريكية والتي اتخذت موقفها بشان سوريا حيث وقع الرئيس الامريكي بوش الابن في كانون الاول ٢٠٠٣ (قانون محاسبة سوريا واعادة السيادة الى لبنان) وهو القانون الذي انتقد دمشق على اساس دعمها للجماعات الارهابية والسماح للمتطوعين المسلحين بالتسلل الى العراق وتطوير اسلحة الدمار الشامل ولاجل تلبية المطالب الامريكية الملحة بتحقيق اكبر ضبط للحدود العراقية السورية ،فقبلت دمشق بمبدأ الدورية المشتركة السورية . الامريكية .(١٤)وعلى هذا الاساس وقعت الحكومة السورية مبدأ الدورية المشتركة معلنة اتخاذ عدة اجراءات منها:

١. حماية وتحصين حدودها مع العراق.

٢. دعوة الجنود الامريكان والعراقيين لزيارة المواقع السورية وهي الدعوة التي لم تجد اذانا صاغية.

٣. القاء القبض على متمردين بعد عودتهم من العراق واعادة تسفير اعداد كبيرة منهم ومعظمهم من الجنسيتين الكويتية والمغربية الى بلدانهم الاصلية .

٤. تحسين العلاقات مع الحكومة العراقية الانتقالية (حكومة اياد علاوي) .

٥ . تحويل مبالغ محدودة من الاموال العراقية المودعة في سوريا ،علما ان مجموع المبالغ التي كان يطالب بها العراق تبلغ ٢٦٤ مليون دولار مودعة في بنك سوريا التجاري .

٦. التعاون مع انتخابات كانون الثاني ٢٠٠٥ عن طريق السماح للمنظمة الدولية للهجرة بتنظيم عملية الاقتراع للعراقيين الموجودين في سوريا .(١٥)

وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهتها الحكومة السورية الى رئيس الوزراء العراقي المؤقت حينها الدكتور(اياد علاوي) والذي دعا الى بقاء القوات الامريكية في العراق فقد استقبلته بصفته الرسمية كرئيس للوزراء وتم الاتفاق بين البلدين على اعادة العلاقات الدبلوماسية بينهما باقرب وقت ممكن وفعلا افتتحت السفارة العراقية في دمشق في ٥ كانون الاول عام ٢٠٠٤ وكبادرة حسن نية انتشر الاف الجنود السوريين الذين كانوا في لبنان على الحدود

العراقية . السورية وزار سوريا في هذه الفترة عدد من المسوؤلين العراقيين .(١٦) وجراء الضغوطات الامريكية التي وجهت ضد سوريا لاسيما بعد توقيع (جورج بوش الابن) لقانون محاسبة سوريا بفرض عقوبات على سوريا عام ٢٠٠٤ تنفيذا لقانون اصدره الكونكرس الامريكي عام ٢٠٠٣تحت عنوان (محاسبة سوريا واستعادة السيادة اللبنانية) وكان وفقا لاعتبارات الكونكرس والتي تتعلق بدعم الحكومة السورية للجماعات الارهابية الفلسطينية ووجودها العسكري المستمر في لبنان وسعيها لامتلاك اسلحة الدمار الشامل وما يتعلق بتقويض الجهود الدولية الخاصة في بسط الاستقرار في العراق واعادة الاعمار.(١٧) ومع تواصل الاحتلال الامريكي للعراق ازداد القلق السوري مع زيادة الاتهامات بدعم النظام لمتسللين عرب الى العراق وايواء رموز النظام السابق فضلا عن اتهام الولايات المتحدة للنظام السياسي السوري بحادثة اغتيال رئيس لبنان (رفيق الحريري في شباط ٢٠٠٥ في ظروف مجهولة) .(١٨) لكن الموقف السوري الاصلي تجسد برفضها احتلال العراق والانخراط في المعادلة التي كان يراد نجاحها والاستجابة دون اشتراطات والتهيؤ لمرحلة جديدة من السلام مع اسرائيل.(١٩) ولقد أشار منذر سليمان (مدير مركز الدراسات الامريكية والعربية في واشنطن (الى ان الهدف من العقوبات الامريكية على سوريا هو ممارسة ضغط معنوي وسياسي كبيرين على نظامها السياسي لاجباره على تعديل سياسته الخارجية خاصة الاقليمية مضيفا بان اهتمام واشنطن لاينصب على الجانب السياسي الداخلي السوري وانما على ضرورة تخلي دمشق عن محور الممانعة وتخليها عن ادوارها في ملفات فلسطين والصراع العربي الاسرائيلي ولبنان.(٢٠) ولكن التساؤل الجديد الذي يطرح نفسه هل ان عودة العلاقات الدبلوماسية اعاد استقرار التعامل بينهما؟

لا اعتقد ان الجانب الدبلوماسي اثر كثيرا لاعادة صفاء الاجواء بين الطرفين فبقيت هنالك توترات امنية بسبب ان العراق كان ساحة مفتوحة لتصفية الحسابات الامنية والسياسية بين اطراف عديدة وتلك التصفية كانت تنعكس على ارض الواقع العراقي متجسدة في تصريحات المسوؤلين العراقيين والموجهة الى الحكومة السورية ومنها على سبيل المثال لا الحصر منها

مطالبة وزير الدفاع العراقي السابق (سعدون الدليمي) في عام ٢٠٠٥ النظام السياسي في سوريا بالقول (اقول لجيراننا الاعزاء ان يتقوا الله في انفسهم ويكفيهم ارسال دوريات الى اراضي العراق) (٢١) .

الثاني :سعى النظام السياسي السوري الى فتح قنوات للتعامل من خلال فتح باب التمثيل الدبلوماسي بين دمشق وبغداد رسميا في ٢١/تشرين الثاني ٢٠٠٦ بعد انقطاع دام ثلاث سنوات من التوتر والاتهامات المتبادلة حيث اتهمت الحكومة السورية بتسهيل دخول عناصر ارهابية وعناصر من حزب البعث لتنفيذ عمليات ارهابية في العراق ،لكن سوريا ادانت الاتهامات وبانها من الدول المناهضة للقرار الامريكي بالحرب على العراق .(٢٢) فاصبح التقارب بين البلدين موجبا لاسيما وان العراق كان يستورد مفردات البطاقة التموينية من خلال الموانئ السورية ومن الاسواق التجارية السورية فشكلت حينها العديد من اللجان المشتركة من وزارتي النقل للبلدين لاجل معالجة الصعوبات التي تعيق عمليات التبادل التجاري فاعلنت الحكومة السورية عن انشاء منطقة حرة في اليعربية على الحدود بين البلدين لتشجيع وزيادة التبادل التجاري.(٢٣) فحكمت المصلحة اساس التعامل بين الطرفين وعلى هذا الاساس قامت الحكومة السورية بتقوية العلاقات من خلال استقبال عدد من مسوؤلي الحكومة العراقية مثل الرئيس (جلال الطلباني ورئيسي الوزراء السابقين ابراهيم الجعفري ونوري المالكي)، وهذا التحسن الذي طرأ على العلاقات ياتي من باب ادراك صانع القرار السياسي الخارجي السوري بان سوريا كانت من اكبر الخاسرين لاحتلال العراق لاسيما كميات النفط العابرة لاراضيها والتي اوقفتها القوات الامريكية في نيسان ٢٠٠٣ وكذلك ما شكله من خسارة للسوق العراقية والتي شكلت ضربة موجعة للاقتصاد السوري والذي يعتمد عليها منذ عام ٢٠٠٠ حين تولى بشار الاسد السلطة حيث بلغت العائدات السورية من التجارة مع العراق ما يزيد على ملياري دولار في السنة وكذلك عائدات انبوب النفط الذي يربط االحقول العراقية بميناء بانياس والذي ادى اقفاله الى خسارة كبيرة لمصدر العملات الصعبة وهو الامر الذي دفع الحكومة السورية الى تقليص مشترياتها الاجنبية ولم

يتوقف الامر عند ذلك بل وضع صانع القرار السياسي السوري امامه لخسارته ٢٠٠ الف برميل يوميا تاتي من خام البصرة الخفيف لتمويل احتياجاتها المحلية .(٢٤)

كما اكد تقرير خدمة ابحاث الكونغرس crs(سوريا والاوضاع السياسية والعلاقات مع الولايات المتحدة بعد الحرب على العراق ٢٠٠٣) فاشار التقرير الى ان الاحداث في العراق قد يكون لها تاثير على الاستقرار الداخلي في سوريا ،فاعتقد بعض المحللين في هذا المجال (ان الحركة نحوالاستقلال الكردي . العراقي من الممكن ان يشجع اكراد سوريا والمقدر عددهم حينها (مليونيين)بان يطالبوا بمشاركة اكبر في الحياة السياسية في سوريا.(٢٥) فالولايات المتحدة الامريكية كان لها الاثر البالغ والكبير في زيادة فجوة توتر العلاقات العراقية السورية ولاسيما عام ٢٠٠٥ عندما اعلنت الادارة الامريكية بانها تعمل مع معارضين سوريين للاصلاح بينما بدأ بحدود ٣٥٠٠ من الجنود الامريكيين والعراقيين (عملية الستار الفولاذي) قرب الحدود السورية واتهم السفير الامريكي حينها لدى العراق (زلماي خليل زادة) صراحة سوريا بالسماح للمعسكرات في تدريب المتمردين العراقيين قبل الذهاب الى العراق ومقابل ذلك وسعيا منها لتخفيف التوتر اقامت السلطات السورية عام ٢٠٠٥ اكثر من (٥٠٠) مخفر لحراسة الحدود مع العراق ونشرت (٧٥٠٠) عسكري على طول الحدود.(٢٦)

كماتجسدت الاشارة الواضحة لتحسن العلاقات العراقية . السورية هي زيارة وزير الخارجية السوري(وليد المعلم) للعراق في تشرين الثاني من عام٢٠٠٦ وتوقيع اتفاقية اعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين والاتفاق على اجراء لقاءات بين المسوؤلين حول القضايا الامنية والاقتصادية والتعاون في مجال النفط والمياه .(٢٧) فاستمرت الزيارات بين البلدين وكانت زيارة رئيس جمهورية العراق السابق السيد(جلال الطلباني) الى سوريا في كانون الثاني ٢٠٠٧ محطة مهمة في علاقات البلدين فقد رافقه وفد كبير ضم وزراء الداخلية والامن الوطني والتجارة والموارد المائية وتوجت بعقد اتفاقية امنية بين وزيري الداخلية للبلدين تضمنت نصوصا صريحة للتعاون الامني وتبادل البحوث والخبرات لتطوير سبل مكافحة

الجريمة.(٢٨) وعززت سوريا موقفها الايجابي الداعم للعراق من خلال مشاركتها في المؤتمر الدولي الذي عقدته الولايات المتحدة الامريكية في بغداد في اذار ٢٠٠٧ وفي شرم الشيخ في ايار ٢٠٠٧ لايجاد حل اقليمي دولي للمأزق الامريكي في العراق واعلان رغبتها عن ايجاد حل لاجراء محادثات مع الولايات الامريكية ولمأزقها العسكري والسياسي في العراق . (٢٩) كما ازدادت مظاهر تحسين العلاقة بين البلدين من خلال مشاركة رئيس الجمهورية العراقي السابق (جلال الطالباني) في مؤتمر القمة العربية في دمشق في ٢٩. ٣٠/اذار ٢٠٠٨ على راس وفد عراقي كبير بعد تلقيه رسالة دعوة من الرئيس السوري بشار الاسد والتي حملها اليه وزير الثقافة السوري.(٣٠) وشارك العراق كذلك في اجتماعات لجنة التنسيق والتعاون الامني لدول جوار العراق في دمشق في نيسان ٢٠٠٨ واشاد الوفد العراقي بسوريا لتعاونها الايجابي حول العراق ،وقد اعادت سوريا للعراق (٧٠١) قطعة اثرية ضبطتها السلطات السورية بعد نهب اثار العراق عقب الاحتلال الامريكي .(٣١) وخلال الزيارة التي قام بها رئيس الوزراء العراقي السابق السيد (نوري المالكي) الى سوريا بداية عام ٢٠٠٩ فاكد الرئيس السوري بشار الاسد دعمه لكل ما يساعد في تعزيز امن العراق واستقراره والحفاظ على وحدته ودعم جهود الحكومة الوطنية العراقية والزيارة اثمرت في تأسيس مجلس تعاون ستراتيجي عالي المستوى بين دمشق وبغداد لتعزيز التعاون في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية بما في ذلك مجالات الامن والتعاون العسكري.(٣٢) والذي تضمن ان يراس المجلس رئيس الوزراء كل من العراق وسوريا على ان يجتمع المجلس مرتين سنويا بالتناوب بين البلدين وسيكون كل من وزراء الخارجية والدفاع والداخلية والنفط والكهرباء والصناعة والمالية والاقتصاد والنقل اعضاء في المجلس ويمكن توسيعه ليشمل بقية الوزراء المعنيين بالمسائل ذات الاهتمام المشترك (٣٣) الا ان العلاقات سرعان ما توترت بسبب اتهام الحكومة العراقية للنظام السياسي السوري من قبل بعض الجهات العراقية الداخلية بحادث تفجيرات ما سمي ب(الاربعاء الاسود) في يوم ١٩ /اب /٢٠٠٩ في وزارتي الخارجية والمالية العراقيتين والذي طال ارواح المئات من ابناء الشعب العراقي الابرياء ذلك اليوم.(٣٤)

حيث ذهب ضحية التفجيرات ١٠٠٠ جريح و٢٠٠ شهيد فاصحبت سوريا من وجهة نظر الحكومة العراقية دولة داعمة للارهاب، الا ان الحكومة العراقية لم تعمل على خسارتها من جديد لعلاقتها بالحكومة السورية حيث اكد المتحدث الرسمي باسم الحكومة العراقية (علي الدباغ)(بان العراق لا يتهم النظام السوري بالوقوف وراء تلك التفجيرات او التورط بها لكنه يتهم النظام بغض البصر عن نشاط تلك الجماعات والسماح لها بعبور الحدود لتنفيذ نشاطاتها ،فاتخذ مجلس الوزراء قراره المرقم ٣١ في ٢٥ اب ٢٠٠٩ تمثل باستدعاء السفير العراقي والمطالبة بتشكيل محكمة جنائية دولية . (٣٥) الا ان الحكومة السورية لم تقف موقف المتفرج بل طالبت الامم المتحدة بتشكيل محكمة دولية بحسب تصريح لوزير خارجيتها (وليد المعلم)في نهاية اب ٢٠٠٩ لاجل التحقيق بكل الجرائم التي ارتكبت في العراق بعد عام ٢٠٠٣ وتلك المطالبات جاءت ردا على مطالبات الحكومة العراقية بتشكيل محكمة دولية للتحقيق في تفجيرات اب ٢٠٠٩.(٣٦) وقد ازدادت حدة التوتر بين الطرفين والتصعيد في الموقف حتى استطاعت الحكومة العراقية وعلى مستوى مجلس وزراء الخارجية العرب من تبني قرارا في ايلول ٢٠٠٩ تطرقت فيه الى التفجيرات الارهابية التي حصلت في العراق جاء فيه (ان هذه الاعمال تشكل تهديدا للسلم وفقا لقرار مجلس الامن)(٣٧)

لكن الحكومة العراقية لم تسعى الى زيادة توتر العلاقات بل اجتمع الطرفان بعد تلك الاتهامات التي وجهت للحكومة السورية فتم الاجتماع في القاهرة مطلع ايلول ٢٠٠٩ لتسوية الازمة لاسيما بعد عدول العراق عن المحاكمة الدولية لمرتكبي هذه الجريمة.(٣٨) كما تم اجتماع اخر في انقرة ضم وزراء خارجية العراق وسوريا في تركيا ،فضم الاجتماع اللجان الامنية في كل من سوريا والعراق وتركيا بدأت في ٢٠٠٩/٩/١٥ (٣٩) الاان حكومة بغداد اعلنت عن توقف مباحثاتها مع سوريا في منتصف تشرين الاول ٢٠٠٩ لحل الازمة بين الطرفين على الرغم من الاجتماعات الوزارية الاربعة التي تمت بين الجانبين العراقي والسوري والتي اعلن عنها وزير الخارجية العراقي الاسبق (هوشيار زيباري) وكان اخرها الاجتماع الذي تم في نيويورك مطلع تشرين الاول ٢٠٠٩ والتي لم يحقق اية نتائج ايجابية بين الطرفين حيث

طالب العراق الامم المتحدة بتدويل الازمة بعد ان رفضت الحكومة السورية تسليم المتهمين بقضية التفجيرات .(٤٠) وبعد سنة من قطع العلاقات العراقية السورية تم استئناف العلاقات الدبلوماسية بين بغداد ودمشق من جديد في ايلول ٢٠١٠ فقام رئيس الوزراء العراقي السابق السيد (نوري المالكي) في منتصف تشرين الاول ٢٠١٠ بزيارة رسمية للعاصمة السورية دمشق لاجل فتح صفحة جديدة وانهاء الخلافات وفي تشرين الثاني ٢٠١٠ وقع الطرفان في ختام اجتماعات اللجنة الوزارية العراقية ـ السورية المشتركة خمس مذكرات تفاهم للتعاون في مجال التجارة والصناعة وتنمية الصادرات (٤١) ومن خلال دراستنا لجانب العلاقات العراقية ـ السورية قبل عام ٢٠١١ نجد بانها استندت على الجانب الاقتصادي اكثر منه الجانب السياسي او العقائدي او الايدلوجي فالمصلحة الاقتصادية كانت الغاية الجوهرية لاجل بقاء تلك العلاقات واستمرارها بالصورة التي رايناها خلال هذا المبحث خصوصا .ونستطيع ان نتبين مدى حجم تلك العلاقات من خلال الجدول ادناه والذي يوضح حجم العلاقات الاقتصادية والتي كان لها الدور الاكبر والبارز في تخفيف حدة التوتر التي اخذت تصيب العلاقات بين فترة واخرى .

والجدول ادناه يوضح واقع الاستيراد والتصدير للجانب العراقي الى سوريا للاعوام (٢٠٠٥-٢٠١١)

السنة	الاستيراد	% من مجموع التجارة العربية	الصادرات	% من مجموع التجارة العربية
٢٠٠٥	٥،٢	%٧٠	٠،٦	%٨٠
٢٠٠٦	٥،٥	%٧٠	٠،٨	%٨٠
٢٠٠٧	٦،٨	%٧٠	١،٢	%٨٠
٢٠٠٨	٩،٩	%٧٥	١،٢	%٨٠
٢٠٠٩	٣،٩	%٥٥	٠،٦	%٨٣
٢٠١٠	٧،٢	%٧٠	٠،٩	%٨٣
٢٠١١	٧،٦	%٧٧	١،٢	%٨٠

المصدر/باسم عبد الهادي،مصدر سابق،ص٤٨.

لكن ما الذي حدث حين طالت التغييرات التي حدثت في الدول العربية الساحة السورية ، فالعراق ايد حركات التغيير في البلدان العربية ما عدا سوريا فظل حذرا في ابداء موقفه لسببين وهما :

١. ان الحراك تحول الى عنف مسلح .

٢. الطائفية التي عانى منها العراق ولاسيما عام ٢٠٠٦ فضلا عن امتناع العراق عن التصويت على الكثير من القرارات التي صدرت عن جامعة الدول العربية ومنها :

١. قرار مجلس الجامعة العربية الوزاري والذي صدر عن قمة بغداد والمرقم ٧٤٣٨ د.غ.ع.م في ٢٠١١/١١/١٢ والقاضي بتعليق مشاركة وفود الحكومة السورية في اجتماعات مجلس الجامعة اعتبارا من ٢٠١١./١١/١٦

٢. ابدى العراق تحفظه على قرار الجامعة العربية في ٢٠١١/١١/٢٧ بفرض عقوبات اقتصادية على سوريا.(٤٢)

٣. لم يصوت العراق على قرار القمة العربية في الدوحة والمرقم ٥٨٠ في ٢٠١٣/٣/٢٦ وقرار المجلس الوزراي المرقم ٧٥٩٥ في ٢٠١٣/٣/٦ عن شغل قوى المعارضة مقعد الجمهورية العربية السورية في مجلس الجامعة العربية كما كرر العراق امتناعه عن التصويت في تمثيل المعارضة كممثل شرعي للجمهورية العربية السورية بموجب القرار ٦٠٠ في ٢٠١٤/٣/٢٦ .

٤. كما ان العراق حصل على تثمين قمة الجامعة في الكويت بموجب قرار الجامعة المرقم ٦٠٣ بتاريخ ٢٠١٤/٣/٢٦ لاستقبال العراق ٢٤٠ الف لاجيء سوري بحسب احصائية الامم المتحدة ذلك العام .

فالحكومة العراقية اذن لم ترغب بالتدخل في الازمة السورية وعدتها شأنا داخليا وهو ما صرح به رئيس الوزراء العراقي السيد نوري المالكي رئيس الوزراء الاسبق بالقول (ان العراق جمد خلافاته مع النظام السوري لعدم وضوح هيئة النظام الذي سيأتي بعده موضحا ان العراق بلد

معتدل ومحايد بين طرفي الازمة السورية وان الشعب السوري هو من له الحق في تقرير مستقبله عبر الجوار.(٤٣)

المبحث الثالث :استراتيجية التدخل الدولي وتاثيرها على العلاقات العراقية ـ السورية بعد عام ٢٠١١ (الامريكية ـ الروسية)انموذجا.

ربما تثار تساؤلات حول هذا المبحث اعتقد اهمها: كيف اثرت استراتيجية التدخل الدولية لقوتين كبيرتين متنافستين على احتواء منطقة الشرق الاوسط هما الولايات المتحدة الامريكية وروسيا الاتحادية على العلاقات العراقية ـ السورية؟وما هي اليات تاثيرهم؟وازاء ذلك سوف نناقش المبحث ضمن عدة محاور وهي :

المحور الاول:استراتيجية التدخل الدولي (الامريكية ـ الروسية) نظرة عامة

في معظم دول العالم ولاسيما الكبرى منها ارتبط مفهوم وصناعة السياسة الخارجية باستراتيجيات تلك للدول والتي غلب عليها إلى حد كبير مفهوم المصلحة الوطنية الذي يأخذ بالاعتبار قدرات وإمكانيات الدول المتاحة، فالدول تسعى إلى تحقيق مصالحها الدولية في كل الظروف، ومن ثم فهي لا تلتزم بالمبادئ الأخلاقية والقانون الدولي إلا إذا توافق ذلك مع مصالحها الوطنية،على الرغم من ان مفهومي المصلحة الوطنية والقوة ليسا مفهومين جامدين، ولكنهما متجددان وينسجمان مع تغير الظروف البيئية المحيطة على السواء، على المستويين الداخلي أو الخارجي، فالمصلحة الوطنية لدولة ما في فترة زمنية معينة، ليست بالضرورة هي نفسها بعد ذلك نتيجة تغيرات سياسية واقتصادية وثقافية.(٤٤) ومن هنا نستطيع تناول كلتا الاستراتيجيتن للقوتين موضوع الدراسة (الولايات المتحدة الامريكية وروسيا الاتحادية / الاتحاد السوفيتي السابق).

اولا :استراتيجية التدخل الامريكية :ما يزال هنالك بين الباحثين والمحللين على اختلاف مذاهبهم من يبدي تحفظه حيال امكانية بقاء ظاهرة القطبية الاحادية وديمومتها ويعرض وصفات متعارضة لاستراتيجية يقترحون على واشنطن انتهاجها على المدى الطويل وتتراجع اقتراحات التيار المنادي بالواقعية بين توخي ضبط النفس والدخول في شراكات الانتقائية

وتدخلاتها وتحقيق التوازن على المستوى الخارجي وقطع الطريق على ظهور منافسين محتملين وفي الوقت نفسه يدعو الليبراليون الى احلال ما يسمونه السلام الديمقراطي او النظام المؤسسي الجديد اذ يسعى انصار النظرية البنائية لتعزيز قواعد حقوق الانسان وترسيخ مفهوم وحدة الغرب .(٤٥) فكانت هناك العديد من التدخلات الامريكية بعد انتهاء القطبية الثنائية وقد شهدت الجماعة الدولية أكثر من حالة تدخل دولي في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، سواء كان التدخل جماعياً في إطار الأمم المتحدة كالتدخل في شمالي العراق في ٥ نيسان/ إبريل ١٩٩١، والصومال في ٣ كانون الأول/ ديسمبر١٩٩١، والبوسنة والهرسك في ١٤ حزيران/ يونيو ١٩٩٣، ورواندا في ٢٢ حزيران/ يونيو١٩٩٤. والتدخل في ليبيا في آذار/مارس عام٢٠١١م أو أحادياً بمعنى خارج إطار الأمم المتحدة كتدخل حلف الشمال الأطلسي في كوسوفا في نيسان ١٩٩٩، فلقد استطاعت الولايات المتحدة الامريكية بعد احداث ايلول ٢٠٠١ ان تضع عددا من الركائز لاجل شرعنة تدخلها الدولي في مناطق العالم ،فشخصت التهديدات واطلقت مجموعة متكاملة من المبادرات الرامية الى التعامل معها فشكلت الحرب على الارهاب اولى تلك الركائز الاساسية والتي استندت اليها استراتيجيتها فوردت مفاهيم جديدة خلال هذه الاستراتيجية منها (مبدأ الحرب الاستباقية) والذي اطلقه بوش الابن اول مرة في كلمة القاها في اكاديمية (ويست بوينت)العسكرية صيف عام ٢٠٠٢،وادرجت في وثيقة الامن القومي الامريكية ،والثانية تمثلت بالاساليب المعززة لجمع المعلومات الاستخبارية ،اما الركيزة الثالثة فتجسدت في التحولات التي تستهدف صوغ وجهة نظر جديدة للمؤسسات الوطنية والعلاقات الدولية التي كانت وما تزال في معظمها من مخلفات الحرب الباردة.(٤٦) وتلك الافكار تضافرت بعد الحرب على العراق في اذار ٢٠٠٣ وهذا التدخل اتاح للولايات المتحدة الامريكية لتحويل العراق لجبهة مركزية لمحاربة الارهاب ففي اوائل عام ٢٠٠٧ اظهرت عملية زيادة القوات القتالية هدف الاستراتيجية الامريكية من التدخل حيث ابقت على ١٤٠ الف جندي في العراق الى حلول عام ٢٠٠٨.

ثانيا :استراتيجية التدخل الروسية:حين استلم (ديمري ميدفيديف) الرئاسة في روسيا الاتحادية اصدر وثيقة السياسة الخارجية التي حدد فيها خمسة مبادىء اساسية اهمها ما اكد عليه المبدأ الثاني والذي يخص معالجة موضوعنا وبالنص (ان العالم ينبغي ان يكون متعدد الاقطاب ،فعالم القطب الواحد ليس مقبولا والسيطرة امرا لا يمكننا السماح به،مثلما لا يمكننا القبول بنظام عالمي تتخذ فيه دولة واحدة كل القرارات حتى لو كانت دولة كبرى ومؤثرة كالولايات المتحدة الامريكية ،ان عالما من هذا النوع سيفتقر الى الاستقرار وتهدده الصراعات).(٤٧)لكن روسيا حاولت تغيير سياستها الخارجية بعد مجيء باراك اوباما للرئاسة الامريكية من حيث نهجه القائم على مد جسور التعاون مع روسيا وابداء استعداده لترتيب العلاقات مع روسيا ،الا انها في الوقت نفسه سعت لترتيب اوراقها اتجاه منطقة التواجد الامريكي لاسيما في منطقة الشرق الاوسط والتي ترتبط مع دولها بعلاقات جيدة خاصة (العراق وسوريا)موضوع الدراسة وهذا التوجه بدأ مع (بوتين) حيث اعتبرت المنطقة من قبل الروس انها منطقة اسلامية متواصلة ذات احتمال التوحد السياسي تحت قيادة موحدة كما وتنظرلها بانها تدخل في شراكة طبيعية ،فخلال السنوات ٢٠٠٣ . ٢٠٠٤ وحينما انشغلت الولايات المتحدة الامريكية باحتلال العراق بلورت روسيا الاتحادية استراتيجية جديدة لبناء علاقات ايجابية مع كل اللاعبين لاسيما العراق وسوريا .

المحور الثاني: تاثيرالتدخل الامريكي . الروسي على العلاقات العراقية . السورية بعد عام ٢٠١١

من خلال هذا المحور سنحاول معالجة دوري كلا المتنافسين الامريكي والروسي وكيف اثرا على العلاقات العراقية . السورية لاسيما بعد عام ٢٠١١ وتزامنا مع احداث التغيير التي طرات على الساحة السياسية السورية فمن المعروف ان التواجد الامريكي في المنطقة بدأ قبل دخول الروس وبالتالي فان التاثير الامريكي يمكن ارجاعه الى عام ٢٠٠٣ لكن سيتم تناول الموضوع ما بعد الاحداث في سوريا ،الا ان التاثير الروسي يمكن تناوله بعد عام ٢٠١١ على الرغم من وجود دلالات ومحاولات لاعادة الروس لعلاقاتهم الايجابية مع العراق وسوريا

،والتساؤل الذي يطرح نفسه كيف كان التاثير الامريكي على العلاقات العراقية السورية لاسيما وان العراق وقع تحت الاحتلال الامريكي حتى خروج القوات الامريكية من الاراضي العراقية بموجب اتفاقية الاطار الاستراتيجي لعام ٢٠٠٨ ؟

اولا :تاثير التدخل الامريكي

لقد اشارت العديد من الدراسات والوثائق الامريكية التي اتجهت للتاكيد على اسقاط النظام السياسي في سوريا او اضعافه باحسن الاحوال لاسيما بعد الاحتلال الامريكي للعراق ،ومنها الوثيقة(**clean break**) الشهيرة والتي وقع عليها اهم دعاة اليمين الصهيوني المحافظ في الولايات المتحدة الامريكية امثال(دوغلاس فايت)والذي تقلد في زمن رئاسة بوش الاولى منصب وكيل وزارة الدفاع ،و(ريتشارد بيرل) الذي قاد حملة الترويج لشن الحرب على العراق حيث دعت الوثيقة الى ثلاثة اهداف رئيسية للولايات المتحدة في الشرق الاوسط اهمها.(٤٨)

اولا:اسقاط النظام العراقي وتنصيب حكومة جديدة ،ثانيا:ايقاف عملية السلام الفلسطينية . الاسرائيلية الى مبادلة الارض بالسلام وعدم الضغط على اسرائيل وعدم الانسحاب من الاراضي التي احتلتها في حرب حزيران ١٩٦٧،ثالثا:اضعاف سوريا وحسر نفوذها ودورها الاقليمي وخاصة في لبنان .

فكان رد الفعل السوري بعد الاحتلال الامريكي للعراق عكسيا فقد اعطى اضطراب الاوضاع السياسية والامنية في العراق لسوريا اوراقا كبرى ،فقد رفضت الاحتلال وبلورت موقفا مشتركا مع تركيا وايران لمحاصرة السياسات الامريكية والتي استهدفت حل الدولة العراقية وتفتيت وحدة العراق ،كما رفضت تقسيم العراق الى وحدات او دويلات عرقية ومذهبية متصارعة كما رفضت اقامة قواعد عسكرية ثابتة ودائمة على ارض العراق كما طالبت الحكومة السورية حينها برحيل كل قوات الاحتلال الامريكي.(٤٩).اما موقف الحكومة العراقية فتمثل في طرحها مشروعا يدعو ابتداءا الى تشكيل حكومة وطنية تمثل مكونات الشعب السوري مع اعطائها صلاحيات التفاوض مع المعارضة .كما دعا المشروع

العراقي الرسمي الطرفين الحكومة والمعارضة الى ايقاف الاقتتال ووقف اطلاق النار فورا فيما يدعو المشروع الاطراف الاقليمية والدولية الى التوقف عن تسليح الجانبين قبل الدخول في مفاوضات مباشرة داخل سوريا باشراف الجامعة العربية والامم المتحدة.(٥٠) فكانت لغة تاييد الحوار (ما بين المعارضة والحكومة) واضحة في نهج السياسة العراقية تجاه الازمة السورية ،ففي حديث لقناة الحبر التركية يوم ٢٠١٢/٨/١٢ مع رئيس الوزراء العراقي الاسبق (نوري المالكي) قائلا (ان الملف السوري ملف خطير وان جميع الدول لن تكون بمأمن بما يحصل هناك لذلك يجب تغليب كفة الحوار وايقاف التسليح لجميع الاطراف ووضع الية للحوار لتأسيس حكومة شراكة تمثل كل اطياف الشعب السوري الشقيق).(٥١)

الا ان الفرصة المناسبة للولايات المتحدة الامريكية كانت فيما حدث ويحدث في سوريا ، فهي تريد ان تقدم نفسها دوما للحكومة العراقية بانها الداعم والداعي الى استقرارها لاجل العودة من جديد للعراق وباقل التكاليف والخسائر البشرية والمادية ،فكان الموقف الامريكي من الانتفاضة السورية بما عبر عنه الرئيس الامريكي اوباما في اب ٢٠١١ حيث دعا الاسد الى التنحي لتمكين الشعب السوري من ترسيخ حقوقه الكونية بالقول(مستقبل سوريا يجب ان يقرره شعبها ،غير ان الرئيس بشار الاسد يقف في طريقه دعواته الى الحوار والاصلاح جاءت فارغة فيما هو دائب على سجن شعبه ،تعذيبه ،لقد اكدنا بقوة ان على الاسد ان يقود عملية انتقالية ديمقراطية او يتنحى عن الطريق. آن للرئيس الاسد ان يتنحى)(٥٢)

فمنتصف عام ٢٠١١ حين حدثت حركة الاحتجاجات في سوريا عملت الحكومة العراقية على سير علاقاتها بشكل طبيعي مع الحكومة السورية ،لانه من غير المعقول قطع العلاقات بشكل مفاجيء بسبب حدوث مطالبات داخلية شعبية بعدد من الاصلاحات السياسية وتحقيق الديمقراطية حيث عدت حكومة العراق ذلك شان داخلي والتي ايدها العراق حينها وجاء ذلك على لسان السيد رئيس الوزراء السابق السيد نوري المالكي بالقول (ان استقرار المنطقة مرتبط باستقرار سوريا وامنها معبرا عن قدرة سوريا في تجاوز الازمة) فقد دعت الحكومة العراقية (النظام السوري) الى الانفتاح السياسي وانهاء حكم الحزب الواحد في اطار

اصلاحات لمواجهة الاحتجاجات الشعبية)، فقال في مقابلة مع وكالة رويترز (اننا ندعم بالتاكيد فكرة انهاء حكم الحزب الواحد والشخص الواحد والطائفة الواحدة والقومية الواحدة)(٥٣)

وذلك دل دلالة واضحة على عمق علاقات الطرفين ،فالاثنين يرتبطان بعلاقات تجارية وعسكرية ،حيث اشارت العديد من التحليلات الاقتصادية بان الاداء الاقتصادي لكلا الطرفين كان جيدا ،فقد اقام الطرفين في تموز ٢٠١١ منطقتين للتجارة الحرة العراقية،كما وافقت وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية السورية على اعفاء البضائع العراقية التي تدخل الاراضي السورية من الرسوم الكمركية ،هذا على الرغم من انخفاض الصادرات السورية الى العراق بشكل كبير للاعوام ٢٠١٣. ٢٠١٤ لكنها لم تتوقف تماما ،والدليل كان زيارة وزير الخارجية السوري(وليد المعلم) لبغداد ٢٠١٣ كما قام العراق باستقبال الالاف اللاجئين السوريين الذين دخلوا الاراضي العراقية ،اذن فان العلاقات العراقية ـ السورية لم تنقطع بعد حدوث المظاهرات والاحتجاجات ضد النظام السياسي السوري في اذار ٢٠١١ ،فحاولت الحكومة العراقية المحافظة على علاقاتها مع دول الجوار العربي ، فبعد ان توترت العلاقات بسبب حادث التفجير في اب ٢٠١٠ عاد المسوؤلين من الجانبين لاستمرار زياراتهم وتطبيع العلاقات وكانت اخرها زيارة رئيس الوزراء السوري (مُحَمَّد ناجي عطري) للعراق في تموز ٢٠١١ وتوقيعه لعشرات الاتفاقيات السياسية والامنية والاقتصادية واهمها اتفاقية (فتح خط انبوب النفط العراقي عبر (ميناء بانياس السوري).(٥٤)

ثانيا :تاثير التدخل الروسي/بعد استخدام روسيا ومعها الصين لحق النقض (الفيتو) في مجلس الامن ضد قرارين يتعلقان بالاوضاع في سوريا ويتضمنان شيء من التدخل لانقاذ المدنيين السوريين ودعوة الرئيس الاسد الى ترك السلطة وذلك في ٢٠١١/١٠/١٤ و٢٠١٢/٢/٤ بدأت تتكشف حدية الصراع الدولي حول سوريا فتكون شكل من اشكال الانقسام بين الدول الكبرى التي تختلف في تقييمها لما يجري ،لاسيما الموقف الامريكي والذي بدا متذبذبا لانهاء الازمة السورية وقد عبر عن ذلك خير تعبير الكاتب الروسي (الكسندر شيملين

)والذي قال (موسكو تنتظر ان تحاورها واشنطن لترتيب حل للازمة السورية ،لكن واشنطن لم تقدم على ذلك بعد).(٥٥) فالدور الروسي كان متميزا في الازمة السورية لاسيما في ضوء المصالح المالية وموضوع العقود التجارية ،فسوريا سوق اساسي لصادرات الاسلحة الروسية وشريك اقتصادي لا باس به لاسيما في المشاريع الاستثمارية حيث للشركات الروسية عقود واسعة لانشاء المصانع والبنى التحتية في سوريا .

اذن كان التنافس الدولي وصراع المصالح الروسي . الامريكي حول الازمة السورية هو المؤثر على العلاقات العراقية . السورية حيث عملت روسيا على استثمار الملف السوري الى ابعد الحدود الممكنة وهو ما اعلن عنه وزير الخارجية الروسي (سيرغي لافروف) بالقول (ان فترة الانتظار لتنظيم العلاقات الروسية . الامريكية لن تكون الى الابد).(٥٦) وهنا التساؤل الذي يطرح نفسه ما هي درجة وفاعلية التحرك الروسي تجاه الازمة وكيف اثر التحرك على العلاقات العراقية . السورية ؟ان الرؤية الروسية لاحداث المنطقة تنطلق وفق رؤيتها لمضمون الارهاب فترى ان الجهود التي تبذلها جماعات مثل القاعدة وداعش لاستعادة (الخلافة العظمى) يعد تهديدا بالغ الخطورة على رقعة واسعة من العالم تمتد من ليبيا الى افغانستان مرورا بالعراق وسورية حاصدة في سبيل تحقيق هذه الغاية الكثير من الارواح .(٥٧) فروسيا ترى في منافستها الولايات المتحدة الامريكية في المنطقة بانها الاداة الرئيسية التي خلقت الفوضى في المنطقة العربية من خلال دعمها للجماعات المعارضة للحكومة السورية مباشرة والذي ادى الى تشكيل جماعات متطرفة في سوريا والعراق.(٥٨)

المحور الثالث: تاثير التدخل الدولي في مستقبل العلاقات العراقية . السورية

لقد اصبح الصراع في العراق وسوريا والمساحات المحيطة رمزا لتوجه مشوؤم جديد لتحلل كيانات الدول وتفككها الى وحدات قبلية وعشائرية ،طائفية ومذهبية بعضها عابرة للحدود الموجودة في صراع عنيف فيما بينها او متلاعب بها من قبل زمر خارجية متنافسة بعيدة مع عدم مراعاة اي قواعد مشتركة سوى قانون القوة المتفوقة . وهي ربما الحالة التي يكون هوبز قد اعتبرها الحالة الطبيعية او حالة الطبيعة. (٥٩)

وضمن رؤية مستقبلية بسيطة لقراءة ما ستوؤل اليه العلاقات العراقية . السورية في ضوء استراتيجية التدخل الدولي ،حيث نستطيع ان نؤشر مشهدين للعلاقات وهما:

المشهد الاول :استمرار العلاقات وتطورها.

في ضوء استمرار الازمة في سوريا وفي ضوء الاحداث التي يمربها العراق لمحاربة تنظيم (داعش) الارهابي وفي ضوء التدخل العسكري الامريكي والروسي في احداث الطرفين العراقي والسوري التساؤل الذي يطرح نفسه من جديد ؟هل ستستمر العلاقات بشكل ايجابي وعلى كافة المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية وبالتالي انعكاسها الايجابي او السلبي في استقرار الامن الداخلي لكلا الطرفين ؟

بالتاكيد ان هذا التساؤل سوف تجيب عنه سياسات صانع القرار السياسي الخارجي لكلا الطرفين فالطرفين الان يعانيان من ازمة على المستويين الداخلي والاقليمي ،والحلول الواجبة ترتبط بصانع القرار السياسي ومدى ارتباطه بقوى التدخل ولاسيما الولايات المتحدة الامريكية وروسيا الاتحادية فالطرفين يرتبطان باتفاقيات انية ومستقبلية دفاعية وامنية واقتصادية في الوقت نفسه،فالمفترض ان تلك القوتين هما المسوؤلتين عن تخليص كلا الطرفين من الازمة التي يمران بها ولاسيما الامنية والعسكرية اضافة الى افتراض ان علاقات الطرفين تتسم بالجدية الخالية من الشكوك والقلق لاجل بناء علاقات ايجابية تاخذ مسار التطور والاستمرار ،وربما نجد دلائله قد تجسدت في الزيارات الرسمية المستمرة للمسوؤلين العراقيين للاراضي السورية لاسيما بعد الزيارة التي قام بها وزير الخارجية العراقي د.ابراهيم الجعفري الى دمشق في اذار ٢٠١٥ بعد طلب الجانب السوري من حكومة العراق مساعدتها لكسر الحصار المفروض عليها بالمقابل نجد سعيا من الحكومة العراقية وصانع القرار السياسي العراقي لاستمرار العلاقات على نهج ايجابي على الرغم من اتهام الطرفين بتاييدهما لايران ،ففي تصريح لوزير الخارجية العراقي اثناء الزيارة المذكورة اعلاه قال فيه (ان العراق قراره حر وسيادته مستقلة)وهنا فان الحكومة العراقية خلال حقبتي المالكي والحالية برئاسة الدكتور حيدر العبادي تسعى لاقامة علاقات ايجابية مع جميع دول الجوار الجغرافي العربي وغير العربي

لاجل الخروج من العزلة الاقليمية والدولية التي فرضت على العراق في عهد النظام السابق ،فالعراق بحاجة للاحاطة بجوار ايجابي لاجل مواجهة التحديات المستقبلية كالارهاب والاطماع الاقليمية من قبل بعض دول الجوار في ارضه ونفطه ومياهه ،فالعراق بحاجة الى الاستقرار لاسيما في ضوء الخسائر التي تكبدها ماديا وبشريا ومعنويا ففي تقرير رفعه (بان كوبيش)الممثل الخاص للامين العام ورئيس بعثة الامم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي)اشار الى ان بسبب اعمال العنف في العراق هنالك خسائر بشرية منذ حزيران ٢٠١٤ وحتى نهاية نيسان ٢٠١٥ تم الابلاغ عن ٤٤٠٠٠ ضحية بينهم ١٥٢١٩ قتيل واصابة ٢٩٤٩٣ اخرين،كما ان هنالك حاجة لتوفير متطلبات اكثر من مليونين وثمانمائة الف نازح داخلي في البلاد ينتشرون في ٣٠٠٠ موقع بانحاء البلاد فيما يتم تسجيل اكثر من ٢٤٧٠٠٠ الف لاجيءسوري في العراق وهذا بحسب تقرير البعثة في ايار ٢٠١٥.(٦٠)

المشهد الثاني:توتر العلاقات وتراجعها.

بما ان الازمة السورية مستمرة وما زال التدخل الدولي الامريكي والروسي مستمرا وبشكل معلن ومباشر فهل سيؤدي هذا التدخل الى توتر العلاقات وتراجعها بعد ان قطع كلا الطرفين طريقا طويلا لاستمرار علاقاتهما بشكل ايجابي لاسيما بعد عام ٢٠١١ فالازمة السورية في افضل احوالها قد تحل من خلال استبدال نظام الاسد بقيادة ديمقراطية تكون اكثرتفضيلا للولايات المتحدة وذلك تنسيقا مع روسيا ودول الخليج العربي ،ويشمل هذا تقليل الروابط مع ايران مع ممارسة تاثيرات على تدفق الاسلحة الايرانية والدعم لحزب الله في لبنان اما في اسوأ الاحوال قد تبقى سوريا غير مستقرة وتجر الازمة الى حرب اقليمية بين ايران والسعودية ،(٦١) خصوصا وان نظام الحكم الحالي في سوريا غير متناغم فكريا وعقائديا مع الولايات المتحدة الامريكية عكس العراق الذي وصل الى مرحلة بناء علاقات جديدة مع الولايات المتحدة قائمة على اساس الصداقة بعد ان كانت قائمة مع الولايات المتحدة كدولة احتلال وبالتالي سوف تبقى طبيعة العلاقات العراقية ـالامريكية تحديا قائما امام الحكومة السورية الحالية واحتمال القادمة للوقوف بوجه تطوير العلاقات العراقية ـ السورية .

ومن حيث العلاقات السورية . الامريكية ومدى انعكاساتها على المستقبل العراقي ،حيث لا يمكن التكهن بالاثار المحتملة للازمة السورية على العراق الا من خلال استقراء طبيعة العلاقات والتحول في العلاقات مع الولايات المتحدة الامريكية اذ تراوحت سياسة سوريا تجاه الولايات المتحدة في عهد حافظ الاسد بين الصد والقبول لاسيما وان الولايات المتحدة كانت ولا زالت الداعم الاول لاسرائيل فكانت سوريا بعد الحرب الباردة الوحيدة القادرة على كبح جماح (اسرائيل) ،فسعت الولايات المتحدة حينها للتوسط من اجل تسوية سورية اسرائيلية مقبولة فسعت باتجاه خطين الاول:التعاون مع واشنطن والثاني البحث عن تحالفات اقليمية بديلة منها للتوازن في مواجهتها.

كما ان عدم الاستقرار في سوريا سيؤدي الى انعكاساته السلبية على العراق من خلال مطالبة المناطق الكردية فيها بالحكم الذاتي وتشكيل نوع من الوحدة مع المنطقة الكردية في شمال العراق مما يؤدي الى تفكيك الجغرافية السياسية في المنطقة بشكل جذري والذي سيشكل تهديدا مباشرا لتركيا وايران واللتان تحظى القضية الكردية لديهما بحساسية شديدة .

ان تنامي الازمة السورية او انهيار النظام السياسي السوري سوف يؤدي الى احتواء العراق وعزله عن البيئة الاقليمية بسبب ظروف البيئة السياسية الغيرمؤاتية للعقيدة الفكرية العراقية وبالتالي لابد ان يتمكن العراق من لعب دور الموازنة في سلوكياته عبر قنواته الرسمية من اجل ان يكون قادرا على مواجهة اي احتمال بشان سوريا، فلقد تضرر العراق كثيرا من الوضع الذي مرت به سوريا وما تزال لعدد من الاسباب ومنها:

. اقتصاديا ،من حيث الاستيراد وسد الحاجات في السوق العراقي وهي سوق رخيص للعراقيين وكذلك الخدمات السياحية فضلا غن غلق البدائل الاستراتيجية في التصدير لاهم سلعة في العراق وهي النفط.

. امنيا:فتحت على العراق جبهة امنية عريضة جدا من اقصى الشمال الى الجنوب بحدود (دول تركيا، ايران ،الاردن،سوريا،السعودية،الكويت)فضلا عن اقليم كردستان في شمال العراق .

. جيبولوتيكيا:تمثل سوريا منفذا للعراق الى منطقة البحر الابيض المتوسط حيث يؤمن هذا المعطى خيارات كثيرة لصانع القرار العراقي خصوصا في ضوء الضغوط التي قد تمارسها دول الخليج ولاسيما الكويت عبر ميناء مبارك الكويتي الذي يشكل تاثيرا مستقبليا على ممرات العراق المائية عبر الخليج وهذا ما جعل لدى العراق مساعي جدية في محاولة مد انبوب عبر اللاذقية الى البحر المتوسط وهو ما يساهم في توطيد العلاقات الاقتصادية وما ينجم عن ذلك من تطوير للعلاقات الاستراتيجية المشتركة بين الطرفين(٦٢)

لقد طرحت العديد من التحليلات والتفسيرات والطروحات حول الموقف السوري بعد عام ٢٠١١ وخاصة مع بدأ حركة الاحتجاجات ضد النظام السياسي في سوريا ،فكانت التوقعات بان يتقلص الدور السوري في العراق الى ادنى حد ممكن لاسيما في ظل ادراك سوري بان المشاركة في الشأن الداخلي للعراق ستكون بحاجة الى تكلفة سياسية واقتصادية ولن يستطيع الاقتصاد السوري تحملها ،اضافة الى ادراك النظام السياسي بمحدودية التاثير في مختلف القوى السياسية العراقية باستثناء فصائل المقاومة ،كما ان النظام السياسي السوري كان يدرك وما زال بان مستوى تاثير نفوذه سيكون اقل من تاثير النفوذ الامريكي،حتى وان تم الانسحاب الامريكي التام من الاراضي العراقية.(٦٣)

اذن ادى التدخل الدولي الى تفتيت وتفكيك العلاقات العربية بين دول الجوار الجغرافي نفسها ،والمتجسدة بالعلاقات العراقية . السورية انموذج الدراسة كما ادى التدخل الى استمرار الصراع بين النظام ومعارضيه بسبب التدخل الدولي الروسي على الخصوص.

الخاتمة

ان تغير سياسات الولايات المتحدة الامريكية وروسيا الاتحادية وريثة الاتحاد السوفيتي السابق واستخدامهما استراتيجيات جديدة تختلف عن استراتيجيات التدخل المباشرلاسيما بالنسبة للولايات المتحدة كما جرت عام ١٩٩٠ عند غزو الكويت او بعد ١١ ايلول ٢٠٠١ والتدخل المباشر في افغانستان والعراق ترك المنطقة تغرق في الفوضى الى ان وصلت الى عدم الاستقرار السياسي والاضطراب الامني وظهور الدور الروسي ليقدم نفسه طرفا وسيطا في المنطقة العربية .

لقد كان من شأن نظام امن اقليمي او دولي فاعل ان يجنب كلا الطرفين العراق وسوريا الكارثة او يتم احتوائها ،الا ان اشكالية فهم المصلحة القومية اثبتت انها شديدة التباين كما كانت تكاليف الاستقرار ثقيلة جدا ،فكان باستطاعة الاسرة الدولية ان تفرض حظرا على تزويد سوريا والميليشيات بالسلاح ،الا ان ذلك صار مستحيلا جراء الاهداف غير القابلة للتوفيق لدى اعضاء مجلس الامن الدائميين واذا تعذر بلوغ النظام بالاجماع او فرضه بالقوة فسوف يتم اجتراحه مقابل ثمن كارثي والتي شكلت الفوضى العارمة في المنطقة .

وهذا يعني بان التدخل الدولي الإنساني كان ولا يزال منذ بروزه على مسرح السياسة الدولية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة يثير جدلاً سياسياً وقانونياً على مستوى الوحدات الفاعلة فيها،فقد بقيت الدول القومية ما بين مؤيد ومعارض له، والسبب يعود في ذلك الى ان هذا التدخل تكون وسيلته العسكرية واستخدام القوة هي الاساس في حل الازمات التي يفرضها هذا التدخل والذي ياخذ الصفة الانسانية .

Iraqi-Syrian relations in light of the international intervention strategy.

Assistant Professor Dr .Khulood mohammed khamees

Abstract:

The relations have gone through periods of stability and tension due to the differences of views and interests of the two ruling political regimes in both countries during the pre-2003 and beyond. These relations fell under the influence of many local, regional and international influences. The international influences weighed heavily on Iraqi relations. Especially those influences were driven by international strategies, especially by the major international powers the United States of America and the Russian Federation (the former Soviet Union) and those forces were able to intervene through the use of strategies and tightly for the sake of The two powers were able to employ humanitarian intervention in order to achieve political, economic, military and security objectives to protect their national interests and as indicated by the global strategies that were formulated after the end of the war Cold and post - September 2001 events.

This means that international humanitarian intervention has been and has been since its emergence in the stage of international politics in the post-cold war stage provokes a political and legal debate at the level of its units. National states have remained between supporters and opponents, Its military means and the use of force are the basis for resolving the crises imposed by this intervention, which takes on the humanitarian character.

المصادر والهوامش

١. د.ناظم عبد الواحد الجاسور ،موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية ،دار النهضة العربية ،بيروت ،٢٠٠٨مصطلحات سياسية ،ص.٨٧

٢. محمّد يعقوب عبد الرحمن ،التدخل الانساني في العلاقات الدولية ،مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ،ط١ ،٢٠٠٣ ابو ظبي ،ص١٤. ١٥ .

٣.المصدر السابق نفسه ،ص ١٥. ١٦.

٤. د.ناظم عبد الواحد الجاسو ،مصدر سبق ذكره ،ص.٥٣١

٥. جمال منصر ،التدخل العسكري الانساني في فترة ما بعد الحرب الباردة من قوة التحالف الى فجر الاوديسا ،الدار العربي للعلوم ناشرون ،ط١ ،الدوحة . قطر ،٢٠١٢، ص ٣٩. ٤٠

٦. د.ناظم عبد الواحد الجاسور ،مصدر سبق ذكره ،ص٦٩. .٧٠

٧. ويكبيديا الموسوعة الحرة،،موقع انترنيت https:wikimediafoundation.org

٨. د ستار جبار الجابري،العلاقات العراقية السورية دراسة في الدور السوري كفاعل مهم ومؤثر في الشان الداخلي العراقي ،مجلة دراسات دولية ،مركز الدراسات الدولية /جامعة بغداد ،العدد ٣٣ ،ص١٨

٩. .الجزيرة انترنيت/http:www.aljazeera.net /news

١٠. موقع انتريت /المعرفة /العلاقات السورية العراقية/http: www.marefa.org

١١. عاطف لافي مرزوك السعدون ،مستقبل العلاقات العراقية وبلدان الطوق :دراسة في ظل بيئة دولية متغيرة ،المركز العراقي للبحوث والدراسات ٢ لعام ٢٠٠٩ العراق النجف الاشرف ط١ كانون الثاني ٢٠٠٩. ،ص.٧٢

١٢. مُحَمَّد عبد الحفيظ الشيخ،ابعاد التدخل الانساني للامم المتحدة في احداث الثورات العربية (ليبيا وسوريا)، انموذجا المجلة العربية للعلوم السياسية ،بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ،العددان ٤٣. ٤٤ صيف وخريف ٢٠١٤،ص١٣٧.

١٣. د.حسن لطيف الزبيدي واخرون ،العراق والبحث عن المستقبل ،المركز العراقي للبحوث والدراسات ،بيروت،ط١ ،٢٠٠٨،ص.٤٩٧

١٤. المصدر السابق نفسه ،ص.٤٩٨

١٥. المصدر السابق نفسه ،ص.٤٩٩

١٦. باسم عبد الهادي حسن ،واقع العلاقات العراقية . السورية والسيناريوهات المستقبلية ،مجلة دراسات سياسية ،بيت الحكمة بغداد،العدد ٢٣ ، ٢٠١٣،ص٤٧ وينظر كذلك /الجعفري بحثت مع القيادة السورية ملفات سياسية وامنية ولمست حرصا على التعاون،صحيفة الشرق الاوسط العدد ٩٥٠٧ بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٨وكذلك علاوي لا تمثل الجميع وبغداد لم توقع بروتوكول ضبط الحدود ،صحيفة الشرق الاوسط العدد ٩٥٢٧ بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢٨..

١٧. علي فارس حميد، اثر المتغير السوري على فاعلية الدور الاقليمي العراقي ،مجلة رؤيا للبحوث والدراسات الاستراتيجية بغداد العدد الثالث كانون الاول ٢٠١٢،ص٥٠.

١٨. د.خيام مُحَمَّد الزعبي ،السياسة الخارجية السورية بين الثابت والمتغير،السياسة الدولية،الاهرام،العدد ١٧٨ تشرين الاول ٢٠٠٩،ص.١٧٠

١٩.د.دهام مُحَمَّد العزاوي ود ياسر علي ابراهيم ،العراق ودول الجوار قراءة في المواقف المتضاربة ،ضمن مجموعة باحثين،علاقات العراق الدولية وانعكاساتها على الاداء السياسي،بيت الحكمة بغداد ٢٠١٢،ص.٩٣

٢٠. سامية بيبرس ،الفراغ :اشكاليات الدور السوري في الشرق الاوسط ،السياسةالدولية،القاهرة ،الاهرام ،العدد ١٨٥ تموز ٢٠١١،ص.٧٦

٢١.. صحيفة الشرق الاوسط ، دمشق تتهم المسؤولين العراقيين بتغطية فشلهم الامني بكل الاتهامات لها ،العدد ٩٧٨٦ بتاريخ ٢٠٠٥/٩/١٣.وينظر كذلك :سعدون الدليمي يهدد سوريا :البركان العراقي سيطول الجميع ،صحيفة الشرق الاوسط ،العدد ٩٨٤٨ بتاريخ ٢٠٠٥/١١/١٤.وكذلك العلاقات العراقية السورية هل تنتهي من تداعيات الحرب على الارهاب،صحيفة الصباح ،العدد ٧٠٩ بتاريخ ٢٠٠٥/١١/٢٧.

٢٢. خالد اسماعيل ،السياسة الخارجية العراقية تجاه الازمة السورية عام ٢٠١١ ،مجلة ابحاث استراتيجية ،مركز بلادي للدراسات الاستراتيجية ،العدد ٩ ايار ٢٠١٥ ،ص .١٦٠

٢٣. ينظر :صحيفة الشرق الاوسط:دمشق نريد علاقات متميزة مع بغداد،العدد ١٠٦١١ بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/١٧.وينظر كذلك :صحيفة الشرق الاوسط /دمشق تعين سفيرا لبغداد بعد قطيعة ربع قرن،العدد ١٠٨٨٦ بتاريخ ٢٠٠٨/٩/١٧.

٢٤. د.حسن لطيف الزبيدي واخرون ،مصدر سبق ذكرهن ص٤٩٦ .

٢٥. عاطف لافي مرزوك السعدون،مصدر سبق ذكره،ص.٨٦

٢٦. باسم عبد الهادي حسن،مصدرسبق ذكره،ص٤٧. وينظر كذلك:ارميتاج :سوريا حققت تقدما على الحدود مع العراق وعليها المزيد،صحيفة الزمان ،العدد ٢٠٠٤ بتاريخ ٢٠٠٥/١/٣.

٢٧. صحيفة الصباح ٢٠٠٦/١١/٢٣.وكذلك ينظر :وفد عراقي الى دمشق لانجاز نص واجراءات استئناف العلاقات ،صحيفة الحياة ،العدد ١٥٧٨٢ بتاريخ ٢٠٠٦/٦/٢٠.

٢٨. باسم عبد الهادي حسن،مصدرسبق ذكره ، ص٤٨.وكذلك ينظر :طالباني في دمشق لبحث ملفات امنية وتجارية ،صحيفة الشرق الاوسط ،العدد ١٠٢٧٥ بتاريخ ٢٠٠٧/١/١٥.وينظر كذلك صحيفة الشرق الاوسط :ملفات الامن والمياه والنفط تتصدر مباحثات وزير الخارجية السوري في بغداد ،العدد ١١٠٧٦ بتاريخ ٢٠٠٩/٣/٢٦.

٢٩. الخارجية السورية تتطلع الى تعاون مع العراق بعد اعلان حكومته ،صحيفة الزمان ،العدد ٢٣٥٩ بتاريخ ٢٠٠٦/٣/٢٦.وكذلك ينظر :مقتدى الصدر يبحث في دمشق الضغوط الامريكية وتوطيد العلاقات،صحيفة الحياة ،العدد ١٥٦٤٨ بتاريخ ٢٠٠٦/٢/٦.وينظر كذلك صحيفة الزمان :الطالباني . نبذل جهودا للارتقاء بالعلاقات مع دمشق،العدد ٢٨٦٣ بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/٤.

٣٠. صحيفة الصباح ،العدد الصادر بتاريخ ٢٠٠٨/٢/٣٢.وينظر كذلك صحيفة الشرق الاوسط ،اول سفير سوري لدى العراق منذ ٣٠ عاما يباشر مهامه،العدد ١٠٩١٣ بتاريخ ٢٠٠٨/١٠/١٤.

٣١. باسم عبد الهادي،مصدر سبق ذكره ص.٤٩

٣٢. علي فارس حميد،مصدر سبق ذكره ،ص٥٦ وكذلك ينظر :صحيفة الزمان (مجلس تعاون ستراتيجي تتمخض عنه زيارة المالكي لدمشق)العدد٣٣٧٧ بتاريخ ٢٠٠٩/٨/٢٠.وكذلك ينظر :صحيفة الشرق الاوسط /المالكي يترأس وفد العراق الى قمة دمشق ،العدد ١٠٦٩٦ بتاريخ ٢٠٠٨/٣/١١.وينظر كذلك صحيفة الزمان :المالكي وعطري يبحثان ملفات امنية واقتصادية تنهي قطيعة ٣ عقود ،العدد ٣٢٧٥ بتاريخ ٢٠٠٩/٤/٢٢.

٣٣. موقع انترنيت مجلة الاخبار / http:/www.akhbaar.org بتاريخ ٢٩ اب ٢٠٠٩

٣٤. ينظر صحيفة الشرق الاوسط، سوريا للمالكي لو كنا نسلم معارضين لما كنت رئيسا للحكومة ،العدد ١١٢٤٠ بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٦ وينظر كذلك صحيفة الزمان (نواب يطالبون الحكومة بادلة تثبت التورط السوري في التفجيرات)العدد ٣٣٨٧ بتاريخ ٢٠٠٩/٩/١.وكذلك صحيفة الشرق الاوسط (رئيس الوزراء العراقي يجدد مطالبته بالمحاكمة الدولية ويؤكد ادلتنا قدمناها من٢٠٠٤)العدد ١١٢٣٥ بتاريخ ٢٠٠٩/٩/١.وكذلك صحيفة الزمان (ظلال قاتمة على التعاون بعد ازمة العلاقات مع دمشق)العدد ٣٣٨٣ بتاريخ ٢٠٠٩/٨/٢٧

٣٥. للمزيد ينظر:خالد اسماعيل ،مصدر سبق ذكره،ص.١٦٠

٣٦. ينظرصحيفة الشرق الاوسط ،العدد ١١٢٣٤ (دمشق لبغداد :نريد محكمة دولية لكل الجرائم ما بعد الغزو).

٣٧. خالد اسماعيل ،مصدر سبق ذكره،ص١٦٢ نقلا عن مُحَمَّد رضا الحسيني ،العلاقات العراقية . السورية ١٩٦٨ . ٢٠١٢ ،بحث ترقية ،وزارة الخارجية العراقية،معهد الخدمة الخارجية،ص.٥٧

٣٨. صحيفة الشرق الاوسط ،العدد ١١٢٤٨ في ٢٠٠٩/٩/١٤(اجتماع لجنة امنية عراقية سورية غدا في القاهرة)وينظر كذلك صحيفة الشرق الاوسط (زيارة مقتدى الصدر لدمشق ترمي الى توثيق العلاقة ،العدد ١١١٩٣ بتاريخ ٢٠٠٩/٧/٢١.

٣٩. صحيفة الشرق الاوسط العدد ١١٢٥٠ في١٦ /٢٠٠٩/٩ (الدباغ حول الازمة في سوريا :انقرة ستكون شاهدا على ادلتنا)

٤٠. صحيفة الشرق الاوسط ،العراق يعلن وقف المباحثات مع سوريا ويؤكد تدويل الازمة بينهما ،العدد ١١٢٧٩ في ٢٠٠٩/١٠/١٥)

٤١. .باسم عبد الهادي ،مصدر سبق ذكره ،ص٤٩ .وينظر كذلك صحيفة الزمان/مفاوضات لبحث الديون وتطوير المناطق الحرة والتمهيد لزيارة عطري،العدد ٣٢٦٨ بتاريخ ٢٠٠٩/٤/١٤.

٤٢. ينظر موقع الجامعة العربية:www.lasporta.org.http//

٤٣. موقع السومرية نيوز في ١٨ حزيران ٢٠١٢ http:www.alsumaria.tvnews

٤٤-مصطفى عبدالله أبو خشيم، موسوعة علم العلاقات الدولية: مفاهيم مختارة، دار الجماهيرية للنشروالإعلان،ص١٤٥.

٤٥. ماثيو رودس ،الولايات المتحدة الامريكية . الزعامة ما بعد القطبية الاحادية ضمن مجموعة باحثين (القوى العظمى والاستقرار الاستراتيجي في القرن الحادي والعشرين . رؤى متنافسة للنظام العالمي ،تحرير جرايمي هيرد،مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ،دراسات مترجمة ٦٠ ابو ظبي ،ط٢٠١٣،١، ص.١٧٧

٤٦. المصدر السابق نفسه ،ص.١٨١

٤٧. بافل اييف ،الاتحاد الروسي كفاح من اجل التعددية القطبية واغفال للعواقب،مجموعة باحثين ،القوى العظمى والاستقرار الاستراتيجي في القرن الحادي والعشرين . روى متنافسة للنظام العالمي ،مصدر سبق ذكره،ص.٢٠٨

٤٨. د.دهام مُحَمَّد العزاوي ود ياسر علي ابراهيم ،مصدر سبق ذكره ،ص٩٤.

٤٩. سامية بيبرس ،مصدر سبق ذكره ،ص٧٦.وكذلك ينظر :دول الجوار تتعهد بمراقبة الحدود مع العراق ،صحيفة الزمان ،العدد ٢٠٩٩ بتاريخ ٢٠٠٥/٥/٢.

٥٠. د.عبد السلام ابراهيم البغدادي ،العراق والازمة السورية ،دورية اوراق دولية ،مركز الدراسات الدولية ،جامع بغداد،العدد ٢١٧ ايلول ٢٠١٢ ،ص.٢

٥١. المصدر السابق نفسه،ص.٣

٥٢. هنري كيسنجر ،النظام العالمي . تاملات حول طلائع الامم ومسار التاريخ ،ترجمة د.فاضل جنكر ،دار الكتاب العربي،بيروت،٢٠١٥،ص.١٢٩

٥٣. باسم عبد الهادي حسن ،مصدر سبق ذكره ،ص٥٠.وينظر كذلك صحيفة الشرق الاوسط :قمة عراقية . سورية في دمشق تبحث تعزيز العلاقات على كافة الصعد ،العدد ١١٧٦٠ بتاريخ ٢٠١١/٢/١٠.

٥٤ . ينظر كذلك صحيفة الشرق الاوسط (الناطقة باسم الصليب الاحمر مستمرون في عملنا رغم الصعاب ٢،٥ مليون نازح داخل سوريا ومفوضية الامم المتحدة تجلي ٥ من موظفيها ،العدد ١٢٤٠٥ بتاريخ ٢٠١٢/١١/١٤.

٥٥. د.ناصر زيدان ،دور روسيا في الشرق الاوسط وشمال افريقيا من بطرس الاكبر حتى فلاديمير بوتين ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،بيروت ،ط٢٠١٣،١،ص.٣٠٢

٥٦. د.ناصر زيدان ،ص.٣٠٥
٥٧. لمى مضر الامارة ،الموقف الروسي من الازمة السورية وانعكاساته الخارجية ،مجلة المستقبل العربي،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت،العدد ٤٤٨ حزيران ٢٠١٦،ص.٣١
٥٨. لمى مضر الامارة ،مصدر سابق ص.٣٢
٥٩. هنري كيسنجر المصدر السابق نفسه،ص١٤٤.
٦٠. موقع انترنيت :يونامي :هزيمة داعش في العراق بعيدة والانتصارات هشة/قناة عشتار الفضائية:2015/6/7 http:www.ishtartv.com VIEWARTICLE,60954.HTML
٦١. ارام نيرغوبزمان،الازمة في سوريا ،ترجمة سميرة ابراهيم عبد الرحمن ،دورية المرصد الدولي ،مركز الدراسات الدولية ،جامعة بغداد،العدد ٢٠ نيسان ٢٠١٢،ص.٩٢
٦٢. علي فارس حميد ،مصدر سبق ذكره،ص.٥٧
٦٣. سامية بيبرس ،مصدر سبق ذكره،ص٧٧.